أحمد محمد شاكر

بيني وبين
الشيخ حامد الفقي

شوال سنة ١٣٧٤ = مايو سنة ١٩٥٥

دار المعارف بمصر

الثمن ٣ قروش

أحمد محمد شاكر

بَيْنِي وَبَيْنَ
الشّيخ حامِد الفقي

شوال سنة ١٣٧٤ = مايو سنة ١٩٥٥

دار المعارف بمصر

وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ
فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِنْ سَبِيل

بسم الله الرحمن الرحيم

نركه من الله ونمر

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الخلق أجمعينَ ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فما كنتُ لِأَوَدَّ أن أقفَ من صديقى القديم الشيخ محمد حامد الفقى — هذا الموقفَ . ولـكنه أبَىٰ إلّا أن يُدَمِّرَ صداقةً عاشتْ على الدهر قرابةَ نصف قرن . ولـكنه سَئِمها فدمَّرها تدميرًا .

وليستْ فعلتُه هذه بأوّل ما فعل ، ولـكنها خاتمتُه التى

اختارها وعمل لهـا بضعَ سنين ، إن لم يكن أكثر ، ونحن لا ندرى .

ولستُ أظنّ بصديقى القديم — وهو قوىّ الذاكرة ، حافظٌ للأحداث — أن ينسى ما فعل ويفعل ، أو ينسى ما خطَّتْه يمينُه ، مما لا نريد كشف الغطاء عنه .

وقد اعتدنا طول حياتنا الأخوية أن نختلف فى الرأى ، وأن يطول بيننا الخلافُ والجدال ، فلا يُغضب أحدًا منّا خلافُ الآخرِ إياه . واعتدنا أن ينقدَ أحدُنا الآخرَ أشدَّ النقد ، فلا يظهرَ لهذا النقد أثرٌ فيما بيننا . ولـكنّ الصديق القديم اختطَّ لنفسه منذُ بضع سنين ، خطةَ الاستعلاء والطغيان العلمى — بما اعتَقَد فى نفسه أنه أعلمُ الناس فى هذا العصر ، كما صارحنى بذلك . حتى لقد صارحتُه حينذاك بأن لّا أجادِلَه فى العلم ، لئلا أؤرّثَ حقده الذى بدَا ، ولا أُثيرَ طغيانَه الذى اتّخذه لنفسه سبيلاً .

ولكن كان يَغلِبُنى الفَيْنةَ بعد الفينة ما دَرَجْنا عليه عمرًا طويلاً ،

فأناقشُه فى شىء من العلم ، ثم أستدركُ خطئِى وأسكتُ .

فكان آخرَ ذلك أن قرأتُ فى مجلة (الهدى النبوى) فى عدد (شهرى رجب وشعبان سنة ١٣٧٤) تعليقاً له على رسالة منشورة فى المجلة ، من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية — فهمتُ من هذا التعليق أنه يتضمن تكذيباً لشيخ الإسلام ، يكاد يكون صريحاً فى ذلك . فكبُر علىّ الأمر ، ولم أجد مناصاً من وضع الحق فى نصابه ، وتبرئةِ شيخ الإسلام رحمه الله من هذه التهمة ، ومحاولةِ تبرئة الصديق القديم من أن يَرْمِىَ إلى هذا أو يَقصدَ إليه . ووضعتُ بين يديه فرصةً يهتَبِلُها ، لتأويل ما أفلتَ من قلمه من الباطل . أو للاعتراف بالخطأ صراحةً والرجوع عنه علناً ، وإن لم يكن لى فى ذلك أمل ، فأنا أعرف صديقى .

فكتبتُ مقالاً يوم الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١٣٧٤ ، وأرسلتُه إليه بالبريد المسجّل ، لما يشقّ على من كثرة الحركة فى رمضان ، مع ارتفاع سنّى وضعف صحتى .

وكان أكثر ما أخشاه أن يطوىَ المقال فلا ينشرَه فى المجلة ،

لما أعرفُه من خُلُقه . فحاولتُ الاتّصال به تلفونيًّا فى منزله وفى مقرّ (جماعة أنصار السنة المحمدية) مرارًا ، فلم أوفَّق . فحدثتُ صديقًا لى وله — كريمًا — فى هذا الشأن ، ورجوتُه أن ينصحه بنشر المقال والتعقيب عليه بما شاء . ثم زارنى هذا الصديقُ الكريم ، فى رفقة من إخواننا مساء الخميس ٢٠ رمضان — فأخبرنى أنه استطاع هذا اليوم الاتصال بالشيخ حامد ، وحدّثه بشأن المقال ، فأنكر له أنه ورد إليه . فعجبتُ وسكتُّ . ثم جاء الصديق القديم الشيخ حامد مصادفةً ونحن بالمجلس ، فلم أستحسنْ أن أتحدّث إليه فى ذلك على ملإٍ من الحاضرين . ولكنّى حدّثته بشأنه منفردَين عند عزمه على الانصراف — فكان حديثًا عجبًا :

لم أخبره بما قال الصديق الكريم لئلا أُحْرِجَه . بل سألتُه عن المقال ونيّتِه فيه . فقال : ولماذا تهتمّ به وتريد نشره ؟ وفهمتُ منه أنه لا يريد نشره . فأفهمتُه وجهةَ نظرى : أنى أرمى بذلك إلى تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية من شبهة تظهر من

كلامه (أعنى كلام الشيخ حامد) . فقال لى — وهو يحاورنى : « ابن تيمية بتاعى قبلك » ! فأجبتُه بأن ابن تيمية ليس خاصًّا بى ولا بك ، بل هو لجميع المسلمين . وتحاوَرْنا قليلاً نحوَ هذا المعنى ، ثم سكتُّ — كعادتى معه — إذْ لم أجد فائدةً من الكلام . واستيقنتُ حينئذ أنه سيطوى المقال ، وأنه غيرُ ناشِرِه . فلم أحرِّكْ ساكنًا بعد ذلك ، حتى أرى عاقبةَ أمره .

ولم أعجب من إنكاره للصديق الكريم وصولَ مقالى إليه — صَدْرَ النهار ، واعترافِه لى ضمنَ كلامه — مساء اليوم نفسه ! فإن الحقائقَ عند الصديق القديم تتغيَّر بتغيُّر المتحدَّث إليه . وأنا أعرف صديقى .

وكان من المصادفات التى لم يكن لى يَدٌ فيها : أنْ وصل إلىّ يومَ الأربعاء ١١ رمضان سنة ١٣٧٤ كتابٌ طبع حديثًا ، فيه أربع رسائل ، ثلاث منها تأليف عالم فاضل من إخواننا علماء الحجاز السلفيّين ، هو (الشيخ محمد سلطان المعصومى الخجندى) ، حفظه الله . والرابعة من تأليف (الشيخ محمود شويل) رحمه الله .

كلها فى الردّ على الشيخ حامد الفقى .

وهى : (تنبيه النبلاء من العلماء . إلى قول حامد الفقى : إن الملائكة غير عقلاء) . و (القول الفصل ، فى حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل) ، وهذه للشيخ محمود شويل . و (الرد الوفى ، على تعليقات حامد الفقى) . و (نغمة جديدة من رئيس أنصار السنة المحمدية) .

فحين جاءنى هذا الكتاب وقرأتُه تأكَّد مصيرُ مقالى عنده . فإن الصديق القديم بعيدُ النظر فى مثل هذه الشؤون ، لا يأمنُ لأحدٍ من إخوانه ، ولا يثقُ بصدق أحدٍ ولا بصداقته . يغلبُه سوءُ الظنّ بالناس ، حتى بأقرب الناس إليه . ففهمتُ أنه سيربط بين مقالى وبين هذا الكتاب برباط وثيق ، ويعتبرهما جزءًا من مؤامرةٍ يَنْسِجُ شباكَها (المعوِّقون الذين يُلْقُون فى طريقه الغُبار والأشواك) — كما يقول . وعلمتُ أنى مهما أفعلْ لأَنْفِيَ العلاقة بين مقالى وبين الكتاب — ومع معرفته بخُلُق ، ويقينه من نُفُورى من المؤامرات والدسائس — فما ذلك بنافِعِى

عندَه ، ولا بمُبْرِئِى من سوء ظنّه . وأنا أعرف صديقى .

فلم أقل شيئًا ، ولم أحرِّك ساكنًا ، حتى أستبينَ عاقبةَ أمرِه .

ثم جاءنى بالبريد ، العددُ التالى من مجلة (الهدى النبوى) — عدد رمضان وشوال سنة ١٣٧٤ — فتحقّق ما استيقنْتُ من قبل : طوى مقالى فلم ينشره ، ولم يؤدّ الأمانة التى اؤْتُمن عليها . ووجدتُ بدلاً منها مقالاً بقلمه ، يبرأ فيه من رمى شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب ، وحسنًا فعل . وليته اكتفى بهذا فستَرَ نفسَه ! ولكنه ذهب يتأول كلامه لينفى عن نفسه التهمة ، بطريقةٍ عجيبة ، تثبت عليه الذى يتبرأ منه ، والذى كنّا نحسن الظن به فنفهم أنه لم يقصد إليه ، وأنه إنما أَفْلَتَ منه عن تعجُّل كعادته . ثم ملأ مقاله بمدح نفسه ، بما الله أعلم بحقيقته منه . وختَمه بالغمز واللمز كعهدنا به ، ولم يذكر اسمى فى مقاله ، ترفُّعًا منه واستكبارًا .

فرأيتُ أن أضعَ الحقَّ موضعَه ، وأن أؤدّىَ الأمانةَ التى اؤتمنتُ عليها . ولم أجد من اللائق بى وبه ، أن ألجأ إلى

صحيفة أخرى غيرِ مجلته . ووجدتُ أنّ خير ما أعمل ، أن أنشر على الناس هذا الكتاب ، أُثْبِتُ فيه مقالى كاملاً ، ومقالَه كلَّه ، غيرَ مُخْفٍ منهما حرفًا واحداً . ثم أعقِّبَ على مقاله فيما يتصل بالمعنى العلمى ، معرضًا عن اللغو ، وعمّا اجترأ عليه من الغمز واللمز . فما كان ذلك لينصر رأيًا ، أو يُقيمَ حجّةً على أحد . وما كان ذلك من شأن أهل العلم .

وسيقرأ كتابى هـذا إخوانُنا السَّلفيون ، أنصارُ السنة ، وغيرُهم من أهل العلم ، فى مصر وفى غير مصر — إن شاء الله — وسيكون رأيُهم الفيصلَ ، وقولهم الحَكَمَ ، فيما بينى و بينه .

والله يَهدينا جميعًا إلى سواء الصراط ؟

الإثنين { ٨ شوال سنة ١٣٧٤
٣٠ مايو سنة ١٩٥٥

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

بمنه

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى

رئيس جماعة أنصار السنة ورئيس تحرير مجلة الهدى النبوى

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

تزامَلْنا وتآخَيْنا منذُ أكثر من خمسٍ وأربعين سنةً ، لله وفى سبيل الله . نَصْدُر عن رأيٍ واحد ، وعقيدةٍ سليمة صافية ، فى الاستمساك بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا نَحِيد عنهما ما استطعْنا ، وفى نُصرة العقيدة السَّلَفية ، والذبّ عنها ما وَسِعَنَا ذلك . لم يَصْرفنا عمـا قُمْنا له و به ، واضطلعنا بالذبّ عنه ، ما لَقِينـا وما نَلْقَى من أذًى أو عَنَت . ولعلنا — فيما قمنا به معًا — من أول العاملين على نشر العقيدة الصحيحة فى بلادنا هذه . وما أريدُ بهذا فخرًا بعملى ولا بعملك ، فما كنّا نعمل إلا لله .

وكان من أعظم المصادر العلميّة التى استضأنا بنُورها — بعدَ الكتاب الكريم والسنة المطهرة — كتبُ شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذِه الإمام الحافظ ابن القيّم ، ثم كتبُ شيخ الإسلام (مجدّد القرن الثانى عشر) محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله جميعاً .

وكان مما قرأنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وما كتَبَ الناسُ حولَه ، من مؤيّديه وأتباعه ، ومن خَصْمه وأعـدَائه — أَنْ وجدناه رجلاً مكذوباً عليه ، يَفْتَرِى عليه عدوُّه الفِرَىٰ ، و يرمونه بالأكاذيب ، و يقوِّلونَه ما لم يَقُلْ ، و ينسبون إليه ما لم يفعل . بعامل العصبية الجامحة ، والحقد الذى ملأ قلوبهم . مما يطول شرحُه أو تفصيله ، ولعلك أعلمُ به منّى ، بل أنا أثقُ بذلك .

ولكنّى — فيما قرأتُ ، وما أكثرَ ما قرأتُ — لم أجد واحداً من الناسِ ، متقدّميهم ومتأخِّريهم ، رَمَىٰ شيخَ الإسلام بالكذب فيما يَحْكِى أو يَنْقُل ، أو بالوَهَم والتخيُّل فيما يرَى

و يَسْمع و يقول . وأعتقد أنك لم تَقَعْ على شيء من ذلك أبدًا .

فلقد أخَذَتْ منّى الدهشةُ مأخذَها — إذَنْ — حين قرأتُ فى مجلة (الهدى النبوى) ، فى عدد شهرَىْ رجب وشعبان من المجلد ١٩ سنة ١٣٧٤ ، فى ص ٣١ ، أثناء فتـوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، (فى الردّ والإنكار على طوائف من الضُّلَال) تعليقَك على كلام الإمام شيخ الإسلام ، حين يقول :

(وأما كونُه لم يتبيَّن له كيفيةُ الجِنّ ومقاماتُهم ، فهذا ليس فيه إلا إخبارُه بعدم علمه ، لم ينكرْ وجودَهم . إذْ وجودُهم ثابتٌ بطرق كثيرة غيرِ دلالة الكتاب والسنة . فإن من الناس مَنْ رآهم ، ومنهم مَنْ رآى من رآهم ، وثبت ذلك عندهم بالخبر اليقين . ومن الناس من كلَّمهم وكلَّموه . ومن الناس من يأمرهم و ينهاهم و يتصرَّف فيهم . وهذا يكون للصالحين ولغير الصالحين . ولو ذكرتُ ما جَرَى لى ولأصحابى معهم لطال الخطابُ . وكذلك ما جرى لغيرنا) .

أدهشنى أكبرَ الدهشة، وأنكرتُ أشدَّ الإنكار — تعليقكم

فى هامش الفتوى ، عند قوله (ويتصرّف فيهم) ، بما نصه : « ليس ثَمَّ دليل على صدق أولئك المُخْبِرين . ولعل أكثرَهم كان واهمًا ومُتَخَيِّلاً . وقد قال الله : ﴿ إنه يَرَاكُمْ هو وَقَبِيلُهُ مِنْ حيثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ » ..

فأولُ ما آخذُه على قولتك هذه ، أنها رمىٌ صريح لشيخ الإسلام بالكذب والافتراء ! أو عل الأقل بالغفـلة والغباء ! ! فإنك تراه يزعم أنّ « من الناس من رآهم » و « من الناس كلَّمهم وكلموه ، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم » — ثم يقول : « ولو ذكرتُ ما جرى لى ولأصحابى معهم لطال الخطاب » . وليس لهذا الكلام معنى فى لغة العرب إلّا أن شيخ الاسلام رحمه الله كان له مع الجِنّ شىء مما حكاه : إمَّا أنه رآهم ، وإما أنه كلمهم وكلموه ، وإما أنه « يأمرهم وينهاهم ويتصرّف فيهم » . فإذا عقَّبْتَ أنت على هذا القول بأنه « ليس ثَمَّ دليلٌ على صدق أولئك المخبرين » — لم يكن معناه إلا أنّ هذا الذى حكاه شيخُ الإسلام لم يَقعْ منه شىء ، لأنه ليس هناك دليل

— عندك — على صدق المخبرين « ولعل أكثرهم كان واهمًا ومتخيلًا » ! ! وهؤلاء المخبرون : شيخُ الإسلام ، فيما زَعَمَ أنه جرَى له ، وغيرُه الذين لم يُسَمِّهم « من أصحابه » . وليس لنا شأنٌ بمن لم يُسَمِّه هو من أصحابه ، وإن كنّا موقنين من تَوَثُّقه وتحَرِّيه فيما يحكى عنهم ولو إجمالًا . إنما الشأنُ فيما حكاه هو عن نفسه ! !

وأُعيذُكَ بالله من أن تقصد إلى رمى شيخ الإسلام — عن عَمْدٍ — بمـا يُفهم من قولك ، إذا فُهِم بدلالة لسان العرب . وأقصَىٰ ما أستطيعُ من حمل كلامك على أحسن مَحَامِله ، بحسن الظنّ بك — أنك رأيتَ رأيًا رسخ فى قلبك ، وغَلَبَكَ رأيُك فلم تستطعْ له دفعًا ، فجَرَى به قلمُك حين رأيتَ القول بأنّ « من الناس . . . . ومن الناس . . . . » ، فكتبتَ تعليقك عندَه ، قبل أن تقرأ ما جاء بعده ، من أن شيخ الإسلام يثبتُ شيئًا كثيرًا من ذلك جرَى له ولأصحابه مع الجنّ . بل لعلك حين هدَأَتْ نفسُك ، واستراح قلبُك بمـا خرَج منه — لم تقرأ آخرَ الـكلام ، أو قرأتَه غيرَ عابئٍ به ، ولا مُلقٍ له بالًا ،

ولا مُتَعَمِّقٍ فيما وراءه من معـنًى !

ولستُ أدرى أيقومُ هذا الاعتذارُ أم ينهار ؟ إنما هذا هو الذى صنعتْ يدُك .

* * *

ثم أكثرُ من هذا وأشدُّ خطرًا : أنّ إنكارَك ما أنكرتَ ، فيه إنكارٌ لكثيرٍ مما ثبت بالسنّة الصحيحة ، التى عِشْنَا عُمُرَنا نَدْفَعُ عنها ، ونَرُدُّ على منكريها ، ونعيبُ متأوِّليها بما يُخرج الكلام عن معناه الصحيح . ولعلك تذكر من هذا الشىء الكثير .

ولستُ الآن بصدد تحقيق الأحاديث الثابتة ، فى رؤية بعضِ الصحابة رضوان الله عليهم — للجنّ ، وتصديقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، فيما حَـكَوا عمّا رَأَوْا . فأنا أثِقُ أنك قرأتَ من ذلك ما قرأتُ أو أكثرَ منه ، وأنك عرفتَه حقَّ المعرفة . وإنما يكفى من ذلك الإشارةُ :

فحديث أبى هريرة فى صحيح البخارى (٤ : ٣٩٦—٣٩٨ من فتح البارى) — فيه قصتُه مع الجنّى الذى كان يأخذُ مما

كُـلِّفَ أبو هريرة بحفظه من زكاة رمضان ، وأخذِه إياه . ثم إنه خَلَىٰ عنه حين أبدىٰ له حاجته وحاجةَ عياله . وقولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : « أَمَا إنه قد كَذَبَكَ ، وسيعودُ » . . . . فعل ذلك ثلاثَ مراتٍ ، ثم قال له الجـنّى : « دَعْنى أُعَلِّمْكَ كلماتٍ ينفعُك الله بها » ، ثم عـلَّمه أن يقرأ آيةَ الـكرسى ، وأنه لن يزالَ عليه من الله حافظٌ ولا يقربه شيطانٌ ، حتى يُصْبِح . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة: « أَمَا إنه قد صدَقَك ، وهو كَذُوبٌ . تَعْلَمُ مَن تخاطبُ مُذْ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك شيطان » . وهذا حديث صحيح صريح ، لا يحتمل تأويلاً ، إلا تأويلَ أهلِ الأهواء ، ممّن لا يأخذون بالسنة الصحيحة ، أو بعبارةٍ صريحةٍ مطابقة لحالهم : « من الذين لا يؤمنون بالغَيْب » . وأعيذُك بالله أن تَمِيلَ إليهم ، أو تأخذَ مَأْخَذَهم .

وقد أثبت الحافظُ فى ذلك الموضع كثيرًا من الأحاديث فى هذا المعنى . ثم عَرَض للاحتجاج بالآية التى تأوَّلتَها على غير

وجهها — فيما كتبتَ — فذَكَرَ أن قوله تعالى : ﴿من حيث لا ترونهم﴾ — « مخصوص بما إذا كان على صورته التى خلق عليها » . وهو تفسير لا بأس به عندى . وأجودُ منه أن يكونَ قولُه تعالى ﴿من حيث لا ترونهم﴾ — خاصًّا بحالةٍ أو ناحيةٍ لا نراهم منها ، بدلالة كلمة « من حيثُ » . وأنّ هذا لا ينفى رؤيتَهم من نواحى أُخَر .

وأقوى من هذا دلالةً — فيما أرى : أن الجنّ لم يكونوا ، ولن يكونوا أرقَى من الملائكة ولا أعْظَمَ خَلْقاً منهم . ورؤيةُ الناس للملائكة ثابتةٌ ثبوتَ القَطْعِ الذى لا شكّ فيه ، حين يتشكّلون على صورةٍ تُسْتَطاع رؤيتهم بها . ويكفى من هذا حديثُ جبريل ، فى سؤالاته عن الإسلام والإيمان والإحسان ، الثابتِ فى دواوين الإسلام ، والذى لا يَشُكُّ فى صحته ولا ثبوتِه أحدٌ يؤمن بالغَيْب .

وبعدُ : فهذه كلمة عابرة ، لإزالةِ شبهةٍ عنك أولًا ، وعن أهل العلم بالحديث ثانياً . أمّا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإنه

أرفع منزلةً عندى وعندَكَ من أن يصل إليه تكذيبٌ أو شَكٌّ فى صدقه فيما يَحْكِى أو يَنْقُل . وأنتَ أولُ من يوافقُ على ذلك ، إن شاء الله .

فآمل منك — إحقاقاً للحقّ ، ورفعاً للشبهة ، أن تنشُر كلمتى هذه كاملةً بنصّها . ثم لك كلُّ الحقّ أن تعلِّق عليها أو تَرُدَّ بما تشاء . واللهُ سبحانه يتولّانا جميعاً بهدايته وتوفيقه .

أحمد محمد شاكر

مساء الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١٣٧٤

٢٦ أبريل سنة ١٩٥٥

مقال الشيخ حامد الفقى

بنصه حرفيًّا :

أبرأ إلى الله من سوء الظن بشيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله ورضى عنه

لست أدرى كيف تطرق إلى ذهن بعض الإخوان اتهامى شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب من تعليقتى فى الهدى (عددى رجب وشعبان) التى أقول فيها « ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين » أى ليس ثم دليل من الكتاب والسنة يعتمد عليه فى هذه الأمور الغيبية . ونفى الدليل على وقوع ما يذكره الناس من رؤيتهم للجن ، لا يعطى مطلقاً رمى شيخ الإسلام بالكذب — حاشاه . وبرأه الله — وما كنت أتصور مطلقاً أن يحملها حامل على أنى أرمى شيخ الإسلام بالكذب . فهى

والله عندى عجيبة جد عجيبة . ولكنى قصدت إلى أن أقطع على الدجالين سبيل اتخاذهم لما يحكى من ذلك حجة لهم على ما يدجلون به على الدهماء ، ويستغلونهم به أسوأ استغلال . كما هو شائع قد ابتلى به أكثر العوام وأشباههم ، فاستولت عليهم الأوهام والخرافات حتى فسد تفكيرهم ، وفسدت نظرتهم إلى كل شأن فى الحياة . وترتب على ذلك ما أصيبوا به فى هذه الأعصر من التأخر فى ميادين الحياة العملية ، وانحلال الأخلاق ، ووهن العزائم .

وكيف يتوهم متوهم فى حامد الفقى الذى وقف حياته على نشر علوم ابن تيمية ، وتخصص فيها من يوم أن كان اسم ابن تيمية لا يذكر إلا مقروناً باللعنة على ألسنة الوثنيين الجاهلين . وما زلت — بحمد الله أصبر على ما ينالنى من أذى — حتى أقبل الناس اليوم على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية يقدرونها قدرها ، وينتفعون بها ويحرصون عليها . ولقد نفعنى الله بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم نفعاً أعده من أجل نعم الله علىّ . ومن

أشد وآكد وصاياى لإخوانى أنصار السنة: أن من لم يتضلع من كتب الشيخين، لا يمكن أن يكون سلفياً بالمعنى الصحيح، ولكنى أحمد الله وأدعو لشيخ الإسلام دائماً بالمغفرة والرضوان، وأضعه من نفسى أجل موضع: أن تعلمت منه مقت التقليد أشد مقت، لما يفضى إليه — كما عرفت من شيخ الإسلام ابن تيمية — إلى أسوأ العواقب فى الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع. فلست أقلد ابن تيمية ولا ابن القيم ولا غيرهما، ولا أتخذهم أرباباً من دون الله، بل العلماء عندى بشر يخطئون ويصيبون.

ونفى صدق الدليل الشرعى: أقصد منه خطأ من يثبت تيسر رؤية الجن، كرؤية المرئيات العادية، فإن «الجن» بلا شك من عالم الغيب الذى نؤمن به، على ما صح وثبت عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نزيد بعقلنا ولا بعقل غيرنا. فحديث الشيطان الذى كان يسرق من تمر الصدقة نؤمن به أصدق الإيمان، ونعتقد أنه ليس عاماً بالنسبة إلى كل الناس، وفى جميع الأوقات. فهو كحادثة الجريدة التى شقها الرسول صلى الله عليه

وسلم نصفين، ووضع كل واحد من شقيها على قبر من القبرين اللذين كان يعذب أصحابهما وقال «إن الله يخفف عنهما ما لم ييبسا» أو كما قال. فهى حادثة خاصة، لا تعطى حكماً عاماً أبداً. وقد روى البيهقى فى مناقب الشافعى رحمه الله عن الربيع بن سليمان أنه سمع الشافعى يقول «من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته، إلا أن يكون نبياً» وراجع تفسير المنار لقول الله تعالى ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾.

ومن قديم عودنى ربى سبحانه، وله الحمد، على أن أمضى فى طريقى ذاهباً إلى ربى ليهدينى، ويثبتنى. لا أعبأ بما يحاول المعوقون أن يلقوا فى طريقى من غبار، أو أشواك، وأن يوهنوا من دعوتى بأنها شذوذ، وتشديد فى أمور سهلة، هى التوسل بالأولياء، وترك لما هو أهم، وغير ذلك. فما كان — ولا يزال — يقعقع به المعوقون. فاليوم — وقد قطعت مع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإخوانهما من السلفيين القدامى، رضى الله عنهم، نصف قرن — لا يهمنى مطلقاً أن يقعقع حولى بهذه

الشنان. فليرح نفسه من يحاول ذلك، ويذهب متتبعاً سقطات، فأين كان يوم نقدت ابن تيمية فى رسالة العبودية، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم، وغيرها مما علقت عليه. وأعوذ بالله، وأعيذ إخوانى بالله، أن أكون أو يكونوا من الذين يصدرون عن هوى أو شبهة، أو مقاصد لا تتفق وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ربنا لا تجعل فى قلوبنا غِلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم﴾.

غفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. ورضى الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية الذى ما أحببته بقدر ما نفعنى الله بعلمه وفقهه. فكان حبه سبباً فى شديد أذى صبرت عليه، بفضل الله وتوفيقه. حتى كانت العاقبة الحسنى. وجمعنا الله وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً.

محمد حامد الفقى

التعقيب

على مقاله

وقد بدأ الشيخ مقالَه بالبراءة إلى الله من سوء الظنّ بشيخ الإسلام ابن تيمية. ثم ذكر أن تعليقَه الذى أخذناه عليه «لا يعطى مطلقاً رَمْىَ شيخ الإسلام بالكذب — حاشاه وبرّأه الله».

أما سوء الظن بشيخ الإسلام، فما نسبناه إليه قَطُّ، ولا نستطيعُه. لأنه من أفعال القلوب، التى لا يطَّلع على حقائقها إلا اللهُ تعالى، الذى يعلم ما تُكِنُّ الأنفُسُ وما تُخْفِى القلوبُ.

وإنما الكلام فيما يدلُّ عليه تعليقُه — أو يُوهِم — أنه نسبةُ الكذب إلى شيخ الإسلام — حاشاه الله وبرّأه منه. وإنما الكلام فيما حاوَلْنا أن نبرئْ الصديقَ القديم مما يوهم كلامُه، ورجَوْنا أن يَبْرَأَ منه براءةً صحيحة واضحة صريحة، فأبَىٰ.

وهذا من مواقف الرجال ، التى لا يصلح فيها التأوُّلُ ولا الالتواء : فإما نفىٌ لما يوهمه الكلامُ نفياً قاطعاً ، واعترافٌ واضح بالخطأ فى التعبير . وإما التزامٌ لما يقتضيه معنى الكلام ، ثم الثباتُ عليه ، أيًّا كانت العواقب . أما التأرجحُ بين النفى والإثبات ، وأما المحاورةُ والمداورةُ ، فلا تزيد الأمرَ إلاّ شَنَاعةً .

لقد حكَىٰ شيخُ الإسلام أنّ من الناس مَن رأى الجنّ ، ومَن رأى من رآهم ، ومن الناس من كلّمهم وكلّموه ، ثم قال بعد ذلك : « ولو ذكرتُ ما جرى لى ولأصحابى معهم [أى مع الجنّ ، ببداهة السياق] ، لطال الخطاب » . وهذا كلام ليس له معنًى فى لغة العرب إلاّ أنّ شيخَ الإسلام يحكى أنه جرَىٰ له نفسه شىء من هذا ، كما قلتُ لك فى مقالى . فإذا جئتَ أنت وعلّقتَ على هذا القول بأنه « ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين » — الذين منهم شيخ الإسلام ، بدلالة صريح الكلام — ألَا يُوقع هذا القولُ منك فى وَهَم القارئ أن هذا القائل الذى يدعى أنه « جرَىٰ له » شىء من هذا مع

الجنّ — لم يَكُ صادقاً ، أو على الأقل أنه لم يكن متحرياً للصدق ؟ ! ومع هذا فإني برّأتُك بالقول الصريح « من أن تقصد إلى رَمْىِ شيخ الإسلام — عن عَمْدٍ — بما يُفْهم من قولك » !

* * *

وأنا أثقُ كل الثقة ، أنك لا تستطيع رمىَ شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب والافتراء ، ولا تَعمد إلى ذلك قطّ — على كثرة ما يَجْرى على لسانك وعلى قلمك من الطعن فى الأئمة والعلماء ، ورميهم بالكذب والافتراء — لسبب واحد أعرفُه وتعرفُه : وهو أن لشيخ الإسلام ابن تيمية مَنْ يَغْضَبُ له ، ويَقْلِى شانئيه ومبغضيه . وأنت أحرصُ من أن تقف هذا الموقف . وخاصةً أنْ كنتَ فى أول أمرك من مُحِبّيه ومُعَظّميه . وأنا أعرف صاحبى ، يا صاحبى .

ولكنك أفلتَتْ منك كلمةٌ عابرةٌ ، غَفَلْتَ عن مرماها وما وراءها . فحين كشفتُ لك غطاءها ، ووقَفْتُك على

ما وراءها ، ثارتْ ثائرتُك ، وكبُر عليك أن يُكْشَفَ الستارُ عما تُجِنُّ نفسُك ، فاندفعتَ — كعادتك — غيرَ متبصّرٍ عاقبةَ أمرك ، ولا ناظرٍ إلى ما تحت قدميك . وقد نصحتُك فكبُر عليك النصح ، وحذّرتُك — إبقاء عليك — فأسأتَ الظنّ بى ، كعادتك مع إخوانك ، فسقطتَ فى الحفرة بين قدمَيْك . وكنتُ من هذا أخشَىٰ عليك .

إنك — فى دفاعك المُنْهَارِ — تفسّر كلمتك « ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين » — بقولك فى صدر مقالك : « أى ليس ثم دليل من الكتاب والسنة يعتمد عليه فى هذه الأمور الغيبية . ونفىُ الدليل على وقوع ما يذكره الناس من رؤيتهم للجنّ ، لا يعطى مطلقاً رمى شيخ الإسلام بالكذب — حاشاه . وبرأه الله — وما كنتُ أتصور مطلقاً أن يحملها حامل على أنى أرمى شيخ الإسلام بالكذب . فهى والله عندى عجيبة جدّ عجيبة » . ثم بقولك فى وسط مقالك : « ونفى صدق الدليل الشرعى : أقصد منه خطأ من يثبت تيسُّر رؤية الجنّ

كرؤية المرئيّات العادية . فإن الجنّ بلا شك من عالم الغيب الذى نؤمن به ، على ما صح وثبت عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نَزِيد بعقلنا ولا بعقل غيرنا » ! !

* * *

أين يُذْهَب بك أيها الرجل ؟ ! أنحن بصدد إثبات حكم شرعى نتطلّب الدليل عليه من الكتاب والسنة ؟ أم نحن بصدد واقعةٍ أو وقائع معيَّنةٍ ، وقعتْ بعد انقضاء الوحى بأكثر من سبعمائة سنة ، فى عصر شيخ الإسلام ؟ ألَا تعرف — وأنت الرجل الذكى العالم — الفرقَ بين الأحكام والقواعدِ واستنباطِها ، وبين الوقائع المعيَّنة وثبوتِها ؟ !

وسأُعَلّمُك :

لو كان كلامُ شيخ الإسلام مقرِّراً لوجود الجنّ فقط ، لطالبه مُنَاظِره أو مُجَادِله بالدليل على ذلك من الكتاب والسنة . وهذا هو الحكمُ الذى يُطْلَب من أجل إثباته دليلٌ منصوص من الكتاب والسنة ، أو دليل مستنبط منهما . ولكنّ شيخ الإسلام رحمه الله يرى أن هذا ليس موضعَ الردّ على المردود عليه.

فإنه يقول بالحرف الواحد : « وأمّا كونه لم يتبيَّنْ له كيفيةُ الجنّ ومقاماتُهم ، فهذا ليس فيه إلاّ إخبارُه بعدم علمه ، لم ينكرْ وجودَهم » . فهذا هو الحكمُ بوجود الجنّ : لم يَنسب شيخُ الإسلام للرجل المردود عليه أنه ينكر وجودَهم ، حتى يقيمَ عليه الدلائل من الكتاب والسنة . بل أثبت لخصمه أنه « لم ينكر وجودهم » ، ولذلك لم يكتب له فى هذا الموضع الدلائلَ من الكتاب والسنة ، لأن وجودهم — عن هذه الدلائل — ليس موضعَ الخلاف والردّ على ذاك الرجل .

وقد فهم شيخُ الإسلام من كلام الرجل المردود عليه ، أنه ليس فيه إلاّ إخبارُه بعدم علمه بكيفية الجنّ ومقاماتهم . فأراد أن يَحُجَّه بالحالِ المشاهدة عندَ بعض الناس ، ومنهم شيخ الإسلام نفسُه . فقال : « إذْ وجودهم ثابتٌ بطرق كثيرة ، غيرِ دلالة الكتاب والسنة . فإن مِن الناس مَنْ رآهم . . . ومِن الناس مَن كلَّمهم وكلَّموه . . . ولو ذكرتُ ما جرى لى ولأصحابى معهم لطال الخطاب » .

وهذا كلامُ الرجل العالم الفاقِه لما يقول ، الواثِق من نفسه ومن صدقه ، ومن تصديق خصمه له إذا حَكَى ما رأى بعينه وسمع بأُذنه . إذْ هو يعلم أنه لا يُدْفَع عن الصدق فيما يقول عما شهده . ولا عن الصدقِ فيما يَنْقل من العلم . و يعلم أن أحداً من خصمه لم يَنْبِزْه بالكذب قطّ .

فهذه واقعة — فى رؤية شيخ الإسلام للجنّ وكلامه معهم — وقعتْ بعد انقطاع الوحى بأكثر من سبعمائة سنة . فليس لسامعها إلا إحدى اثنتين: أن يصدِّقَ راويَها الذى يدَّعى أنها وقعتْ له، بما يعرفه من صدق لهجته ، ومن عدالته وأمانته ، ومن أنه أهل للشهادة تُقبل شهادتُه . ولا يستطيع أن يَطلب منه دليلاً على صدقه من الكتاب والسنة . فما يُعقل قطّ أن يَطلبَ منه نصًّا من الوحى على أنه صادق فى هذه الواقعة أو الوقائع بعينها ! ! أو يكذِّبَ هذا الراوىَ فيما رَوَى أنه وقع له .

وهذا التكذيب قد يكون للراوى نفسِه ، بدَفعِه عن الصدق ، بما يعلم الدافعُ من حال الراوى وعدم عدالته . فيكونُ نفياً

خاصًّا قاصرًا على الواقعة أو الوقائع التى يحكيها هذا الراوى .

وقد يكون التكذيبُ عامًّا ، غيرَ قاصرٍ على موضع الرواية ، بل نفىٌ لأصل المسئلة فكأنه يقول للراوى — حتى لو عَرَفَه بالصدق والعدالة : إن الذى تقول وتحكى لا يُعقل أن يقعَ قطّ ، لأن دلائل الكتاب أو السنة الصحيحة تنفيه ، وتجعلُ وقوعَه محالاً . فأنت إمّا كاذب مخترع ، و إما واهم متخيّل ! !

وهذا هو الذى صنعتَه أنتَ ، وحاولتُ أن أبرئك منه ، ووضعتُ بين يديك الفرصة لتنفىَ عن نفسك الشبهةَ ! فأبيتَ .

جئتَ لواقعة أو وقائع يَرْوِى شيخُ الإسلام —وهو الصادقُ القول ، الثابتُ العقل ، النيِّرُ البصيرة — أنها وقعتْ له ، كما وقعتْ لغيره ، فنفيتَها نفياً قاطعاً عامًّا فقلتَ له : «ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين ، ولعل أكثرهم كان واهماً ومتخيلًا» !

مَنْ أولئك المخبرون الذين « ليس ثم دليل على صدقهم » أيها العالمُ الذكىّ ؟

ليس أمامَنا — فى هذا الموضوع بعينه ، وفى مقال شيخ الإسلام

بعينه — إلاّ مخبرٌ واحدٌ ، هو شيخ الإسلام ابنُ تيمية . ثم مخبرون آخرون له ، لم نعرف من هم ، ولكنه هو الذى أخبرنا حاكياً عنهم . أتريد أن يكون تكذيبُك إنما يقع على أولئك المخبرين له ؟ فلنفرضْ هذا . ولكن ماذا عن إخباره هو بأنه جرَى له مع الجنّ شىء مما حَكَى ؟ أهو صادق فيه أم كاذب ؟ أهو واهمٌ فيه ومتخيِّل ، أم ثابتُ العقل مستيقنٌ ؟ !

هذا هو الذى تتحدَّثُ فيه ، ودَعْ ما عداه !

* * *

ثم أينَ فى كلام شيخ الإسلام — فى رسالته التى علَّقتَ عليها — إثباتُ « تيَسُّر رؤية الجن ، كرؤية المرئيات العاديّة » — حتى تدَّعى أنك تقصد بيان خطئه ؟ ثم من ذا الذى زعم من العلماء ، بل حتّى من المخرفين الأغبياء ، من ادّعى « تيسُّرَ رؤية الجن ، كرؤية المرئيات العادية » ؟ !

ألَا تَفْقَهُ ما تقول ؟ ! أتكون كلمتى لك مخلصةً لوجه الله — سبباً لمثل هذا الهُرَاء . بل سبباً لخطأ فى التعبير ، لم تقصد إليه

يقيناً ، حين تقول « ونفى صدق الدليل الشرعى » ! ! تريد « ونفى وجود الدليل الشرعى » ! وأنا أعرف أنك ستزعم أنها غلطةٌ مطبعية . ولكنّ المصحح الذى كنتَ تُلصق به كل الأغلاط فى كتبك ترَكَ العملَ معك منذُ عهد بعيد !

ثم تغالط وتقول عن حديث الشيطان الذى كان يسرق من تمر الصدقة « أنه ليس عامًّا بالنسبة لكل الناس » ! ومَنْ ذا الذى زعم لك أنه «عامّ بالنسبة لكل الناس»؟! أتريد أن تقوّلنى فى مقالى ما لم أقل ؟! إنك تنفى إمكانَ رؤية الجنّ نفياً باتًّا عامًّا قاطعًا، وتستدل بالآية على غير وجهها، لتكذّبَ بها من يدّعى أنه يراهم فى بعض الأحيان . أى تجعل الآية دليلاً على الاستحالة الواقعية ، لا الاستحالة العقلية . فهذا العمومُ فى النفى يكفى فى نقضهِ ثبوتُ حادثة واحدة صحيحةٍ ، وهذا هو موضع الاستدلال.

* * *

ثم قاصمةُ الظَّهْر . وتلك التى لا شَوَىٰ لها :

إنك منذُ درستَ السُّنّة ، والتزَمْتَ منهاجَها الحقّ ،

كنتَ تأخذ مأخذَ الاجتهاد ، وتَسِيرُ على الطريق السوىّ . ولستُ أرمى إلى إنكار هذا عليك — حتى لا تتأولَ كلامى فتوجّهَه إلى غير ما أقصد . ولعلى كنتُ من أوائل الدعاة فى مصر إلى هذا الصراط المستقيم ، وما أظنك تنكر علىّ ذلك . وقد فَخَرْتَ بذلك فى مقالك ، ونفيتَ عن نفسك تهمة التقليد لابن تيمية أو ابن القيّم أو غيرهما . فانظرْ ماذا فعلتَ ؟

نقلتَ عن أحد الكتب ، ولستُ أُسمّيه لك الآن ، أن البيهقى روى فى مناقب الشافعى : « عن الربيع بن سليمان ، أنه سمع الشافعى يقول : من زعم أنه يرى الجنّ رَدَدْنا شهادتَه ، إلّا أن يكون نبيًّا » .

أفأستطيع أن أفهم من كلامك — بما أخذتَ به نفسَك من مذهب الاجتهاد — أنك لا تقلّد الإمامَ الشافعى فى هذا القول ، وأنْ قد أدّاك اجتهادُك إلى مثل قوله ، فالتزمتَه قولاً لك ، تذهب إليه وترتضيه، وأنك جئتَ بكلمة الشافعى استئناساً، لا استدلالًا ؟ ! وهذا بديهىّ من معنى قولك ، ومن سياق

حكايتك . لا تستطيع منه تَفَصّياً ، ولا عنه نُكُوصاً .

أفتدرى إلامَ ينتهى بك هذا القول وهذا الرأى ؟ إنك باختيارك إيّاه قولاً ، و بارتضائك إيّاه مذهباً — تحكمُ حكماً لا رجوعَ لك عنه ، ولا مناصَ منه : أن شيخ الإسلام ابن تيمية ممن لا تُقبل شهادتُه عندك ، لأنه ادّعى رؤيةَ الجنّ والكلامَ معهم ، بصريح قوله الذى نتحدث عنه .

وأُعيذُ شيخَ الإسلام بالله منك ومن اجتهادك ، ومن ادّعائك نصرتَه والذِّيادَ عنه . بل هو أرفعُ عندنا قدراً ، وأعلىٰ عِلْماً ، وأصدقُ قولاً ، من أن نأخذه بمثل هذه الكلمة التى نقلتَ عن الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . والذى قاله شيخ الإسلام وحكاه عن نفسه وعن غيره ممن يثق به ، نصدقُه فيه ، ولا نرَىٰ من دلالة الآية ما ينفيه . وأمامَنا السُّنّةُ الصحيحة تؤيدُه فى إمكان الرؤية . لا نقصدُ بذلك إلى العموم الذى تُحرّف إليه الكلامَ : « تيسُّر رؤية الجنّ ، كرؤية المرئيّات العاديّة » — مما لم يقل به أحدٌ قطُّ فيما علمنا .

فانظر أين ذهبتْ براءتُك إلى الله من سوء الظن بشيخ الإسلام ، و براءتُك من رَميه بالكذب — فى صدر كلامك ؟!

* * *

ما أجد كلمةً أصِفُ بها عَمَلَكَ هذا ، أحسن من كلمة قالها الطبرى فى تفسيره(١) ، يصوّر بها تناقض من يردّ عليه ، قال : « ثم نَقَضَ ذلك من قوله ، فأَسْرَعَ نَقْضَه ، وهَدَمَ ما بَنَىٰ ، فأسرَعَ هَدْمَهُ » ! !

* * *

وتسألنى — أيها الصديق القديم — أين كنتُ يومَ نقدتَ ابن تيمية فى تعليقاتك على بعض كتبه ؟

وسأُجيبُكَ :

كنتُ حاضراً ، أرىٰ وأسمعُ ، وأقرأُ وأعجبُ . ولا أزعم أنك كنتَ مخطئاً فى كل ما تقول ، ولا مصيباً فى كل ما تنقد . وكان الصواب قليلاً نادراً . وكنتُ أحاول التفاهم معك فى بعض

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣١ ، من طبعة دار المعارف ؛ بتحقيقى مع أخى السيد محمود محمد شاكر .

الحالات . فكنتَ تستقبلنى بالهزء والسخرية ، وقلب الجدِّ مزاحًا ، كعادتك التى اصطنعتها منذ بضع سنين . وكنتُ أسكتُ . ولا أظنك تنسى ما كان من اشتراكنا فى إخراج تهذيب السنن لابن القيم ، وكيف كنتُ أعارضك فى كثير مما تكتب من التعليقات ، التى أتحرَّجُ من أن تُنْسَب إلىّ بحكم اشتراكنا فى العمل . حتى اضطُررنا إلى الاتفاق على أن يوقّع كل واحد منّا على ما يكتب . وكنتَ — فى بعض الأحيان — إذا لم يعجبْك حديثٌ ثابت صحيح ، ولم تستطع الحكم بضعفه — تذهبُ إلى تأويله بما يكاد يخرجه عن دلالة الألفاظ على المعانى . وكنتُ أنصحك بأن هذه الطريقة هى التى نعاها وينعاها علماء السنة على أهل الرأى . فلم تكن ترجعُ عن اجتهادك . ثم ازداد الأمر حين كتبتَ هامشة معيَّنة ، حاولتُ إقناعك ببطلانها ، فأصررتَ على إثباتِها ، فعزمتُ عليك أن لّا تفعل ، وأعذرتُ إليك أنها إذا طُبعتْ فى الكتاب نفضتُ يدى من الاشتراك فى تصحيحه ، إذْ لا أستطيع وضعَ اسمى على كتاب يُنْشَر فيه

مثلُ هذا الكلام . فلم تعبأ بكلامى . فتركتُ العمل فيه .

ولا أذكر أنى كتبت مقالاً ، أو نشرتُ شيئًا تتبّعتُ فيه سَقَطَاتِكَ ، كما زعمتَ ذلك ونسبتَه إلىّ .

ولذلك لم يعجبنى قولُك عنّى : « فليُرِحْ نفسَه من يحاول ذلك ، ويذهبُ مُتَتَبِّعًا سقطاتٍ » . وكنتُ أتمنّى أن لّا تقولَه ، فإنّ الصدقَ فى غيره .

* * *

وبعدُ :

فما كنتُ يومًا مّا من المعوِّقين لك ، الذين يُلْقُونَ فى طريقك الغبارَ والأشواكَ ! فقد نسبتَ إلىّ ما لم يكن ، بل كان غيرُه هو الصحيح . فكنتُ أنصرُكَ فى أكثر مواقفك ، وأدفعُ عنكَ قادِحِيكَ . وكنتُ — إذا أخذتُ عليك مأخذًا — نصحتُك به مواجهةً صريحةً ، غيرَ ملتوية ولا متخاذلة . وكنتَ فى أول أمرك تقبل نصحى ، أو تقنعنى بخطئى . ثم كانتْ عاقبةُ أمرك — معى على الأقل — أن لّا تقبل نصحًا ، وأن تركبَ رأسك ،

وتَسِير فى طريقك . فنسكتُ ولا نعوِّقك ولا نُلْقى فى طريقك غباراً ولا شوكاً . بل لطالما أسأتَ إلىّ ، وأنا أعفو وأصفح ، وأقابلُ إساءتَك بالوفاء ، والحرص على المودة القديمة التى كانتْ قائمة .

ولماذا ألقى فى طريقك الغبارَ والأشواكَ ؟ وأنا أراك منذ أكثر من عشر سنوات واقفاً على هُوَّةٍ غطاؤها لا يكاد يَتَمَاسَكُ ، مما تحَمِّلُه من أعباء ، وتصنع به من أحداث . وأنا أُدِينُك بخطِّك ، لا بكلامى ولا بكلام غيرى ، وقد أحْكَمْتُ لك الحَكَمَةَ ، وزمامُها بيدى . وكان الظنُّ بك أن لا تضربَ هذه اليدَ ، إن يكن وفاءً للصداقة القديمة ، فخوفاً أن يُفْلِتَ الزمامُ . ولكنَّك لا تُبْقِى ولا تَذَرُ .

هدانا الله جميعاً إلى سبل السلام ، ووفّقنا للحق فيما نقول ونعمل ، وجنَّبنا مواقفَ الزلل ، ومهاوىَ الأهواء ، ونَزَوَاتِ الشيطان . وجعلنا من الهادين المهديّين . والسلام .

الإثنين { ٨ شوال سنة ١٣٧٤ / ٣٠ مايو سنة ١٩٥٥ }

كتبه
أحمد محمد شاكر
عفا الله عنه
بمنه